

لقاء العظيمين

الكاتب: إبراهيم السكران



الحمد لله وبعد،

تخيل معي أنه قد اجتمعاليومأهم رموز الفكر العربي.. أو أهم رجالين من رجال السياسة في في عالمنا العربي.. أو دع المقترن يكون أكثر مرونة.. ولنتخيل اجتماعاً انعقداليوميضمأهم شخصيتين في العالم الإسلامي.. برأيك.. وفي تقديرك: ما هو الموضوع الذي تتوقع أن يفتح على طاولة الاجتماع؟

هل تتوقع -مثلاً- أن يكون الموضوع عن الحرية؟ أم ربما يكون موضوع الاجتماع عن النهضة والحضارة والتنمية؟ أم عن البطالة والإسكان؟ أم عن تطورات الإعلام؟ أم أزمة الاقتصاد؟ أم عن ماذا يا ترى؟

ما هو أعظم ملف يمكن أن يلقي باجتماع أهم شخصيتين فكريتين.. أو أهم شخصيتين سياسيتين في العالم العربي أو الإسلامي؟

اجتماع أлем شخصيتين في التاريخ

حملق في ذهني هذا السؤالالمتخيل بينما كنت أقرأ خبراً موثقاً عن اجتماع ألمشخصيتين في تاريخ العالم.. وأدهشني جداً الموضوع الذي دار الحوار بينهما على أساسه.. ربما يعود السبب إلى أننا تعودنا على نمط معين من الأجندة والقضايا في المجتمعات الهمامة.. ولذلك اندهشت من موضوع هذا اللقاء بين أعظم شخصيتين في تاريخ البشرية..

أو ربما يعود الأمر إلى ذوق فكري معين تعودنا عليه في ترتيب القضايا ذات الشأن العام.. فصارت هرمية الأولويات الفكرية الخفية في أذهاننا تتحكم في مفكرة اجتماعاتنا رفيعة المستوى..

المهم.. أنني متتأكد أن مزاج القارئ المعاصر يتحرك في مسار غير المسار الذي وصل إلى مستوى هذه العظيمان في تاريخ النوع الإنساني.. وبشكل

خاص فهم هذين العظيمين للقضايا المصيرية والحاصلة التي تستحق أن تنفق فيها الاجتماعات وتبذل فيها الأوقات..

على أية حال.. أشعر أن صديقي القارئ الآن متشفف للاطلاع على قصة هذا الاجتماع لأهم رجلين مشيا على هذا الكوكب.. لا بأس.. دعني أنقل لك الآن هذا الخبر التاريخي عن اللقاء عالي الطبقة الذي ضم أهم شخصيتين إطلاقاً في أرشيفبني آدم..

عفواً.. أحببت أيضاً أن أؤكد أن مكان اللقاء هو أيضاً مكان متفرد.. موقع استثنائي.. يليق بعظمة هاتين الشخصيتين.. فقد تم تحديد مكان الاجتماع في منزل لا يصله أكثر الناس.. بل هو موقع خاص لفئة معينة من القيادة والمؤثرين..

أما الشخصيتين محل اللقاء.. فبدهي طبعاً أن أهم وأعظم وأجل شخصيتين في تاريخ النوع الإنساني كله هما: إبراهيم بن آزر بن ناحور.. ومحمد بن عبد الله بن عبد المطلب.. صلى الله عليهما وألهمهما وسلم.

وكون هذين هما أفضل رجلين خلقهما الله هذه حقيقة معروفة عند المسلمين.. خذ مثلاً قول ابن تيمية:

(أفضل الخلق: محمد صلى الله عليه وسلم، ثم إبراهيم صلى الله عليهما وسلم) [ابن تيمية، الاقتضاء: 833/2، طبعة الرشد]

وقال ابن تيمية أيضاً:

(فصل: وأفضل الأنبياء بعد محمد - صلى الله عليه وسلم - إبراهيم الخليل) [ابن تيمية، الفتاوي: 317/4].

حسناً.. لا شك أن محمد وإبراهيم الخليلين - صلى الله عليهما وألهمهما وسلم - هما أعظم شخصين في تاريخ البشرية.. فلننتقل الآن إلى جوهر الموضوع: متى التقى؟ وain كان موقع الاجتماع؟ وما موضوع الاجتماع الذي دار الحوار بينهما على أساسه؟

التقى محمد بإبراهيم - صلى الله عليهما وسلم - لما أسرى برسول الله ثم عرج به إلى السماء السابعة.

حيث جاء في صحيح البخاري في قصة الإسراء والمعراج:

(ثم مرت بـإبراهيم فقال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت من هذا؟
قال: هذا إبراهيم) [البخاري: 3342]

وجاء في بعض الروايات أن النبي -صلى الله عليه وسلم- التقى بـإبراهيم،
وإبراهيم مسند ظهره إلى البيت المعمور، والله أعلم.
وأما الموضوع الذي دار بينهما.. القضية التي فتحت في الاجتماع..
والرسالة الهامة التي أراد إبراهيم إيصالها لأمة محمد.. فقد رواها عن النبي -
صلى الله عليه وسلم- أربعة من الصحابة منهم ابن مسعود، وأبو أيوب
الأنصاري، وعبد الله بن عمر، وابن عباس. واستمع إلى هذه الرواية التي
روتها هؤلاء الصحابة عن قصة اجتماع أهم شخصيتين في العالم.. والموضوع
الذي تركّز الاجتماع عليه:

(قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لقيت إبراهيم ليلة أسرى بي، فقال: يا
محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء،
 وأنها قيungan، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله
أكبر) [الترمذى: 3462، أحمد: 23552، وغيرهم].

والحديث حسن الترمذى [ح 3462] ، وحسنه ابن حجر في [نتائج الأفكار:
1/101، تحقيق السلفي، مكتبة ابن تيمية] ، واستشهد بهذا الحديث ابن رجب
وابن تيمية وابن القيم وغيرهم من أهل العلم كما سيأتي.
ولبعض الأئمة المتقدمين كلام عن بعض طرقه كما في [العلل لابن أبي حاتم:
5/309، إشراف د.الحميد].

حسناً.. لا يمكن أن يمر القارئ بهذا الحادثة في اجتماع محمد وإبراهيم
الخليلين -صلى الله عليهما وسلم- في السماء ليلة الإسراء إلا و تستولي عليه
الدهشة من هذا الأمر الذي اهتم به إبراهيم الخليل وطلب من نبينا محمد
-صلى الله عليهما وسلم- أن يوصله لنا..

بمجرد أن يقرأ المسلم قول أبينا إبراهيم (يا محمد أقرئ أمتك مني السلام)
فإنه يشعر بشيء من حنين الانتماء والصلة.. إنه أبوانا إبراهيم مهتم بنا..
ويوصل سلامه لنا عبر محمد صلى الله عليهما وسلم.. إنه أبوانا إبراهيم يسلم

علينا .. وهو أبونا بنص القرآن (مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ) [الحج: 78] وفي معنى الآبواة ها هنا أقوال ذكرها أهل التفسير .. أي إحساس بالأهمية والمكانة يشعر به المسلم وهو يقرأ أن إبراهيم خليل الله مهتم بالسلام عليه؟! وثمة بعد آخر في منزلة هذه الوصية وهي أن إبراهيم الخليل -صلى الله عليه وآله وسلم- رجُلٌ ارتحل الآن إلى ربه .. وهو الآن أخبر ما يكون بأنفع شيء لمن لم يمت بعد ..

فتخيل أن رجلاً ذهب إلى الله، ثم يرسل لك وصيحة بعد أن انتقل عن الدنيا؟ فكيف ستكون أهمية وصيته؟

وصيحة سيدنا إبراهيم عليه السلام

فهذا إبراهيم أعلم الناس بالله بعد نبينا يرسل لنا وصيحةً بعد موته وارتحاله عن هذه الدنيا .. إنها وصيحة قادمة من رجل سبقنا في الرحالة إلى المستقبل الأبدى .. فكأنها وصيحة قادمة من المستقبل الذي سنؤول إليه .. وماذا كانت هذه الوصيحة .. إنها الوصيحة بأمور تبني لك موقعاً في الجنة: (يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربية، عذبة الماء، وأنها قيungan، وأن غراسها: سبحانه الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)

فإبراهيم الآن يتحدث عن الجنة حديث من غادر الدنيا .. ويخبر أن الجنة أرضها طيبة مباركة .. ومياها عذبة حلوة... وأن الله خلق فيها مساحات مستوية لا نبات فيها، فهي قيungan، لكي يغرس المؤمن فيها أشجاره بقوله (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر) ..

هذا إبراهيم الخليل الذي آل إلى ربه يريد من محمد صلى الله عليهما وسلم أن يخبرنا نحن بهذه المعلومة .. إبراهيم يريد منا أن نستثمر الفرصة طالما أنها مازلتنا في هذه الدنيا فنستكثر من الغرس في الجنة قبل أن نقدم على الله! تخيل أنك تقول الآن سبحان الله .. فتغرس لك شجرة في جنات عدن؟! وتخيل أنك تدل صديقاً أو قريباً على فضل سبحانه الله، والحمد لله، ولا إله

إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ.. فَكُلُّمَا قَالَهَا هَذَا الصَّدِيقُ أَوِ الْقَرِيبُ، غُرِّسَتْ لَهُ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَغُرِّسَتْ لَكَ مِثْلُهَا، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (مِنْ دَلْعَلِ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلٌ أَجْرٌ فَاعِلُهُ) [مُسْلِمٌ: 1893] ..

فَرِيمَا كُنْتَ نَائِمًا أَوْ تَتَنَاهُلُ طَعَامَكَ أَوْ مِنْهُمَا فِي عَمَلٍ.. وَاللَّهُ يَغْرِسُ لَكَ فِي الْجَنَّةِ بِسَبِّبِ أَقْوَامٍ دَلَّلُتُهُمْ وَذَكَرُتُهُمْ فَتَفَطَّنُوا لِذَكْرِهِ..

وَقَدْ بَوَّبَ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ الْإِمَامِ إِبْنَ الْقِيمِ فِي مَنْظُومَتِهِ الْمُتَلَاطِمةِ (الْكَافِيَّةُ الشَّافِيَّةُ) الْمُشْهُورَةُ بِالنُّونِيَّةِ فَقَالَ (فَصُلُّ فِي أَنَّ الْجَنَّةَ قِيَعَانٌ، وَأَنَّ غَرَاسَهَا الْكَلَامُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ).

وَنَظَمَ فِيهَا إِبْنُ الْقِيمِ تَحْتَ هَذَا الْفَصْلِ أَبْيَاتًا مُسْتَمْدِةً مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ:

(أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّهَا الْقِيَعَانَ فَاغْْرِسْ رِسْ مَا تَشَاءُ بِذَا الزَّمَانِ الْفَانِي
وَغَرَاسَهَا التَّسْبِيحُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَالْتَّهُ حَمِيدٌ، وَالْتَّوْحِيدُ لِلرَّحْمَنِ
تَبَّا لِتَارِكِ غَرْسِهِ مَاذَا الَّذِي قَدْ فَاتَهُ مِنْ مَدَةِ الْإِمْكَانِ
يَا مَنْ يَقْرَبُ بِذَا وَلَا يَسْعَى لَهُ بِاللَّهِ قَلْ لِي كَيْفَ يَجْتَمِعُونَ؟
أَرَأَيْتَ لَوْ عَطَلْتَ أَرْضَكَ مِنْ غَرَا سِ ما الَّذِي تَجْنِي مِنْ الْبَسْتَانِ؟)
[الْكَافِيَّةُ الشَّافِيَّةُ فِي الْإِنْتَصَارِ لِلْفَرَقَةِ النَّاجِيَّةِ: ص 395، طَبْعَةُ ابْنِ خَزِيمَةَ،
تَحْقِيقُ الْعَمِيرِ]

وَجَعَلَ إِبْنُ الْقِيمِ هَذَا الْحَدِيثَ دَلِيلًا لِأَحَدِ فَوَائِدِ الذَّكْرِ.. كَمَا يَقُولُ إِبْنُ الْقِيمِ فِي كِتَابِهِ الْوَابِلِ الصَّبِيبِ فِي فَوَائِدِ الذَّكْرِ (الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ وَالثَّلَاثُونُ: أَنَّ الذَّكْرَ غَرَاسُ الْجَنَّةِ). وَمِنْ أَطْرَفِ النَّظَرَاتِ وَالتَّأْمِلَاتِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْعَجِيبِ أَنَّ الْإِمَامَ النُّوْوَيِّ (676هـ) اعْتَدَ أَنَّهُ صَارَتْ لِأَهْلِ الْحَدِيثِ رِوَايَةً مُتَصَلَّةً السَّنْدُ إِلَى النَّبِيِّ إِبْرَاهِيمَ.. فَإِنَّ أَهْلَ الْحَدِيثِ يَرَوُونَ هَذَا الْحَدِيثَ عَنِ الصَّحَابَةِ، وَالصَّحَابَةُ يَرَوُونَهُ عَنْ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمُحَمَّدٌ يَرَوِيهِ عَنِ إِبْرَاهِيمِ الْخَلِيلِ! كَمَا يَعْبُرُ النُّوْوَيِّ عَنْ هَذِهِ النَّظَرَةِ بِقَوْلِهِ:

(وَقَدْ مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ عَلَيْنَا وَجَعَلَ لَنَا رِوَايَةً مُتَصَلَّةً، وَسَبَبًا مُتَعَلِّقًا بِخَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- كَمَا مِنَ عَلَيْنَا بِذَلِكَ فِي حَبِيبِهِ وَخَلِيلِهِ وَصَفِيفِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) [تَهْذِيبُ الْأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ: 100/1، الطَّبْعَةُ الْمُنِيرِيَّةُ].

ثم ساق النووي بإسناده هذا الحديث السابق مروراً بالترمذى، والحقيقة أن التركيز في النظر إلى هذا المعطى، أي كون هذه الوصية من خليل الله إبراهيم لم يكن غائباً عن كثير من أهل العلم.. حتى أن الإمام ابن رجب يقول: (وصلت إليكم عشر الأمة رسالة من أبيكم إبراهيم، مع نبيكم محمد -عليهما السلام- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رأيت ليلة أسرى بي إبراهيم فقال: يا محمد أقرئ أمتك السلام وأخبرهم: أن الجنة عذبة الماء، طيبة التربية، وأنها قيungan، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر") [ابن رجب، لطائف المعارف: 120، تحقيق السواس، دار ابن كثير].

فلعلك قد لاحظت أن النووي وابن رجب سلطا الانتباه على كون هذه الرسالة والوصية قادمةٌ إلينا من أبيينا إبراهيم الخليل، وينقلها عنه محمد صلى الله عليهما وسلم.. والمستهدف في هذه الوصية.. والمرسل إليه في هذه الرسالة هو نحن.. أي اهتمام بنا بذلك هذين النبيين الكريمين على الله.. على أية حال.. هل تتوقع لو اجتمع اليوم اثنان من المفكرين العرب أن يكون اجتماعهم معنياً بقضية (ذكر الله) كما اهتم بها أعظم رجلين في تاريخ البشرية في اجتماعهما في السماء السابعة؟! لا أظن ذلك.. وبيهجي أن أكون مخطئاً.

النهضة والتقدم والتطور والرقي في ميزان الأنبياء يختلف كثيراً عن الموازين المادية المعاصرة..

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآلـه وسلم، ،

المصدر:

<http://www.saaid.net/Doat/alsakran/45.htm>

الكلمات المفتاحية:

تنويه: نشر مقال أو مقتطف معين لكاتب معين لا يعني بالضرورة تزكية الكاتب أو تبني جميع أفكاره.

https://murabet.com